4

تكلموا فى المهد

الصبى الداعى لنفسه

بقلم :

أ. د. محمد سيد أحمد المسيَّر

أستاذ العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر الشريف

الطبعة الثانية

دار المعارف

تلست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة

سعيد عبده مصطفى

كتب أطفال وناشئة

سلسلة تكلموا فى المهد

تصميم الغلاف:

منال بدران

تم التنفيذ بمركز زايد للنشر الإلكترونى بدار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - جمهورية مصر العربية

المسير، محمد سيد أحمد.

الصبى الداعى لنفسه / بقلم: محمد سيد أحمد المسير.

- ط 02 - القاهرة: دار المعارف، 2015.

32 ص، 19.5 سم (تكلموا فى المهد؛ 4)

تدمك 8 8274 02 977 978

1 - قصص القرآن.

2 - القصص الدينية.

(أ) العنوان.

تصنيف ديوى: 229.5

رقم الإيداع: 25190/ 2015

رقم الكونجرس: 6 - 840060 - 01 - 2

رقم أمر التشغيل: 19/ 2015/ 7

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف.

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعد.

فتتواصَل بنَا سِلْسلةُ الذينَ تكلَّموا فِى المهد ؛ لنصلَ إلى قِصَّةِ الصَّبى الداعى لنفسه.. إنها قصةٌ تمثلُ اتجاهًا عامًا فى الحياة ، يجبُ أَنْ نتنبهَ إليه وهوَ أنَّ كثيرًا منَ الناس يُخدعونَ بالمظاهرِ وَتفتنهمْ زهرةُ الدنيَا فيحسبونَ أَنَّ السعادةَ جمعُ مالٍ أَوْ موْقع سلطةٍ ويتناسونَ أنَّ حقيقةَ السعادةِ هىَ الرِّضا بحكْمِ اللهِ وحكمته.. إنَّ قصةَ هذَا الصَّبى الذى أنطقهُ الله جاءتْ لتُصححَ للأمهاتِ والآباءِ النظرةَ إلى الحياةِ والمسْتقبل ، فليستِ الدنيَا أموالاً وكفَى أو جاهًا فحسْب ، وَإنمَا هى قبلَ ذلكَ وبعدهُ دينٌ وخلقٌ.. فمتَى تحققَ الدينُ والخلقُ اسْتضاءَت الحياة وانتفعَ الناسُ بمَا فى أَيديهم قلَّ أوْ كَثُر، وإذَا ضاعَ الدينُ والخلقُ فلاَ أمنٌ ولاَ أمَان.

هيَّا بنَا نتصفحُ قِصَّةَ هذَا الصبىِّ لنرَى معَالم الحياةِ الطَّيبة..

والله ولى التوفيق

الصبى الداعى لنفسه

قصَّة هذَا الطفل الثالــث تمثلُ اتجاهاً عاماً فى الحياة يجبُ أن نتنبــهَ إليه ، وهوَ أنَّ كثيرًا منَ النــاس يُخدعونَ بالمظاهر وتفتنهمْ زهرةُ الدنيا فيحســبونَ أن الســعادةَ كَامنة فيهَــا .. معَ أنَّ رضَا الله هو الذى يُضفى عَلى الأشياء منافعهَا الحقيقية ، وأنَّ توفيقَ الله هوَ الذى يضئُ لنَا الحياةَ ..

وكثيــرٌ مــنَ الأمهــات يحرصْــن عَلــى أنْ يكونَ لأبنائهــنَّ الجاهُ والمنصبُ .. نَعَمْ .. نحنُ لانمانعُ فى ذلكَ ، ولكــنْ ليكُن الدينُ هوَ الهدفَ والغَاية ولتكُن الفضيلة هىَ العنوانَ العَــام ، وليكنِ الخيرُ والكمالُ هو الثمرةَ المرجُوّة ..

كذلــكَ فإنَ الحياةَ كثيــراً مَايُتهم فيهَــا الفَاضل ، وَيعــذَّب البرئ ، فيجبُ أنْ نقــفَ موقفَ المتثبت ، فلَا نشــيعُ منكراً ، ولانتناقلُ كذباً ، فــإنَّ أكبرَ الكبائر أنْ يمتهــنَ إنســانُ فى عِرضــه ، أو يُظلم فى مَالــه ، أو تُقتل نفسٌ بغيرِ حَق.. !!

حولَ هذه المعانى يحدثنَا الرسولُ ﷺ ، منْ خلالِ قصّة الطفل الثالــث .. فيحْكى أنهُ بينمَا صبىٌ يرضعُ مــنْ أمهِ إذْ مرَّ رجلٌ راكِبٌ

عَلى دَابة فارهَة وشَـارة حَسَـنة ، فقالتِ الأمُّ : اللهمَّ لاَ تمت ابنِى حتَّى يكونَ مثله .. !! فقدْ خُدعت الأمُّ بالصورةِ الظَّاهرة ، ولكنَّ الله سـبحَانه أرادَ أنْ يُلقن الأمهَات درساً فأطلعَ الله الصبىَّ عَلى حقيقةِ أمرِ الرجلِ وأنطقَهُ بقوله : اللهمَّ لَاتجعلْنى مِثْله.. !!

ثُم أقبلَ الصبىُّ عَلى ثدْى أُمه ليرضَعَ ، وبعدَ قليلٍ مـرُّوا بجاريـةٍ وهُـم يضربونهَـا ويقولـونَ : زنيتِ وسرقْتِ ، وهىَ تقولُ : حَسبى اللهُ ونعمَ الوَكيل ..

فقالتِ الأمُّ : اللهمَّ لَاتجعَل ابنِى مثلهَا .

فتـركَ الصَّبى الرضـاعَ ونظرَ إليهَا فقـالَ : اللَّهم اجعَلنـى مثلهَـا .. حينئـذ وقفَتِ الأمُّ مشـدُوهة ، وأقْبلَت عَلى الصَّبى تحدثهُ وتسألهُ عَمَّا صعبَ عليهَا فهْمه وغابَ عنهَـا ، وهىَ فى الحقيقةِ تلجأُ إلى الله أنْ يزيـلَ حَيْرتها ، ويكشـفَ الغطاءَ عـنْ بصيرتهَا ، فنطقَ الصبىُّ بقدرةِ الله : إنَّ ذاكَ الرجُل كانَ جباراً ، وَفـى روايـةِ البخَارى : كانَ كافراً ، فقُلـت : اللَّهم لاتجعلْنى مِثله ، أَىْ متكبـراً كافـراً ، وإنَّ هذه المرأة يقولُون لهَـا : زَنيت ولمْ تزْن ، وسَـرقت ولمْ تَسْـرق ، فقلتُ : اللهمَّ اجعلْنى مثلهَا ، أَىْ طاهراً منَ الخطيئةِ ، بريئًا منَ الذنبِ ، مُتوكلًا عليكَ ، وَاثقاً بنصْرك.. !!

دروس وعبر

إنَّ قِصةَ الصَّبى الذى دعَا لنفسهِ وابتهلَ إلى اللهِ تعالَى مصححاً لأُمـهِ دعاءهَا وَمُنبهًـا لهَا إلى ماغابَ عنهَا أمـامَ المظاهرِ الخادعَة تُؤكد فينَا دروسًا وعبرًا فِى حياتنَا الأُسريّة والاجتماعيةِ مِنْهَا :

١ـ حرص الآباءِ والأمهاتِ على نجابةِ أبنائهم وسعادةِ حياتهم :

وتلكَ مسـألةٌ لَا جـدالَ فيهَا لكنْ كيـفَ تتحققُ نجابةُ الأولادِ ، وكيفَ يستشعرونَ السَّعادة ؟!

إنَّ الذريَّـة الطَّيبةَ كـانتْ مَطلبُ الأنبيَاء ، ودعَاء الصالحيـنَ ، قالَ تعالَى عَلى لسـانِ إبراهيمَ الخليلِ عليهِ وعَلى نبينَا محمد الصَّلاة والسَّلام :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١).

وكـانَ دعاءُ عبـاد الرحمن:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٢).

---

(١) سورة الصافات الآية ١٠٠.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٤.

والملاحظُ أنَّ عبادَ الرحمنِ لَمْ يكفهمْ أَنْ يكُونوا مُتَّقين فحسْب، بلْ تضرعُوا إلى الله عزّ وجلَّ أنْ يكونُوا هُمْ وذُرياتهم أئمةً للمتَّقينَ ... لـكـنْ كيفَ نـفهم قولَ الله تعالَى : ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [1].

فالمالُ والبنـونَ زينةُ الحياةِ الدنيَا ولا حرجَ على المسلِم أنْ يَسعى فِى سبيلِ تحصيلهمَا والفوز بهمَا فِى حدودِ الشرعِ وآدابِ الدِّين بالجهدِ الإنسانِى المعْتدِل منْ غير بَطَرٍ أو اسْـتكبار أو فسـادٍ فى الأرْض.

وَلَكـنْ عندمَا تتحولُ النفوسُ عنِ المنهجِ الإلهى، تُصبح الفتنةُ بالمالِ فِى جَمْعه بطرقٍ غير حَلالٍ وَصرفه فِى غيـرِ حقِّه، وتصبحُ الفتنةُ بـالأولادِ فِى بُعدهم عـنِ الفضيلةِ وَانحرافِهم عَنِ الخلقِ، واعْتدائهم عَلى حُرمَاتِ اللَّه.

لكنْ إذَا كانَ الأولادُ ينْشَأُونَ عَلى المنهجِ الإسْلَامى، ويعرفونَ الفضيلةَ فيسـلكونَ مسـالكهَا فهمْ شَـرف للوالديْنِ وَفَخْرٌ لهمَا، وَقدْ قَال رسولُ الله ﷺ « إذَا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلَّا مِنْ ثلاثٍ: صدقةٍ جَاريةٍ أَوْ علمٍ يُنتفعُ بِهِ أَوْ ولدٍ صَالح يدعُو لَهُ ».

(١) سورة التغابن الآية ١٥.

٢ ـ ممارسة الأم لواجبها الفطرى :

إنَّ الصَّبى الداعى لنفسه ، كانَ يرضعُ مِنْ أُمه ، وهذَا الموقفُ لهُ دلَالته فإنَّ ممارسة الأُم لواجبهَا الفطرى فى الإرضاع يقدمُ للطفل غَذاءً كاملاً مُعقمًا تعقيمًا إلهيًّا ، كمَا يورثُ الحنانَ والسَّكينةَ والأمنَ والراحةَ النفسيَّةَ لدَى الأُم وَرضيعهَا..

ولهذَا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[1].

بلْ إنَّ الإسلامَ يرفضُ أَنْ يستقلَّ أحدُ الأبويْنِ بفطَام الصَّغير قَبْل الحوليْن، ويُؤكد ضَرورة المشَاورة بينَ الأبويْن لمَا فيه مصلحةُ الصَّغير قال الله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾

وإذَا طرأ على الأُمِّ مَايعوقُ إرضاعهَا لصغيرهَا ، كانَ لأبيه أَنْ يَسْترضعهُ مِنَ امرأةٍ أُخرى فِى إطارِ المعروفِ والإحسَان.

قالَ تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٣.

٣ ـ بركة الحياة :

إنَّ أمَّ الصَّبى الذى معنَا أرادتْ لابنهَا كثرةَ المالِ وفخامةَ المظهرِ ، فهلِ السَّعادةُ مُتَوَقِّفة عَلى هذه الكثرةِ ؟

مِنْ قيـم الحياةِ الاقتصاديةِ فى الإسـلام ، والتى يجبُ أنْ يربَّى عليهَا الأبناءُ أنَّ الدنيَا تُسـاق للمؤمـنِ والكَافر تبعاً للحكمـة الإلهيـة .. قـال الله تعالـى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (١).

والدنيَا ليسَتْ جزاءً للمؤمنِ .. قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كانتِ الدنيَا تزِنُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضَةٍ مَاسـقَى الكافرَ منهَا شربةَ مَاء» .

وكثـرةُ عطـاءِ الدنيَـا أو قلتـهُ ليسـتْ دليـلاً عَلـى تَفْضيـل اللـه لعبـده أو تحقيره ، قـال الله تعالـى :﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ (٢).

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٠.

(٢) سورة الفجر الآية ١٥ – ١٧ .

أَىْ أننَا بمقياسنَا البشرى ، قدْ نعتقدُ أنَّ كثرةَ المالِ تَفضيلٌ منَ اللـه لعبده ، وأنَّ قلةَ المالِ امتهانٌ للإنسانِ وَتحقير ، فنهانَا الله تعالَى عَنْ هَذه النظْرة الخَاطئة ، وجعلَ مقياسَ الكرامة أو الإهانة هو القرْب منَ الدين أو البعد عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (١).

وعندمَا امتنَّ الله تعالَى على إبراهيمَ الخليلِ عليه السَّلام بالإمامَة فِى الدينِ تطلَّعَ إبراهيمُ عليه السلام إلى امتدادهَا فِى ذريته ، فنبهَه الله تعالَى إلى أنَّ إمامةَ الدينِ خاصَّة بالمتقينَ ولاينالهَا الظالمونَ فقالَ جلَّ شأنه : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٢).

وتمضى الحياةُ بإبراهيمَ ، ويرفعُ القواعدَ منَ البيتِ الحرام معَ إسماعيلَ ، ويتوجهُ إبراهيمُ الخليلُ ضارعًا إلَى ربه قائلاً : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ (٣).

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٦.

دعَـا إبراهيمُ بالرزقِ للمؤمنينَ فقطْ ، قياسًـا عَلى إمامَة الدين فوجَّهه الله تعالَى إلَى حكمة الوجُود، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١)

وليسَ معنَى ذلكَ أن المؤمنينَ لاينالُهم منَ الدنيَا شَىءٌ ، بَلِ المرادُ أنَّ الكثرةَ أوِ القلةَ فِى المالِ ، والبسْط أو القبْض فِى الـرزقِ لايعنِى المؤمنَ فى حَدِّ ذاتِه ؛ ولكنَّ المؤمنَ يرزقـهُ الله بركةَ الحياةِ فـى صحتهَا ومالهَا وصحبتهَا وأولادهَا وكلِّ مايتصلُ بهَا..

فالبركـةُ هى حسـنُ الانتفاعِ بالنعمـة، ووضْعها فِى الموضـعِ المثمرِ ، وَامتداد أثرهَـا إلىَ أبعَدَ ممَّا يتصـورُ العقلُ المـادِّى ، وأعمقَ ممـا يتخيلُ عبيدُ الدينارِ وَالدرهم ..

فالمؤمنُ يسعَى اسـتجابةً للأمرِ الإلهى فِى قوله تعالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (٢).

ولايدخرُ المؤمنُ وُسـعاً فى اكتسَـاب الرزقِ الحلالِ اسـتجابةً

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٦.

(٢) سورة الملك الآية ١٥.

لقولـه تعالـى: ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (١).

ومـعَ ذلكَ فالمؤمنُ قانعٌ لايصابُ بهلع ولا يعتريه قلقٌ ، ولايناله أرقٌ ، ويهنأُ بكلِّ لقمة يأكلهَا ، ويسعدُ بكلِّ مايملكُ ، ويحمدُ الله عَلى كلِّ حـالٍ. ولهذَا قالَ رسـولُ الله ﷺ : « عجبًا لأمـرِ المؤمنِ إنَّ أمـرهُ كله خيْر ، وليـسَ ذلكَ لأحدٍ إلَّا للمؤْمنِ» إنْ أصَابته سـرَّاء شـكرَ فكانَ خيراً له ، وإنْ أصابتهُ ضرَّاء صَبَر فكانَ خيراً لهُ .

والـرزقُ الحلالُ الطيبُ وإنْ قـلَّ خيرٌ منَ الحرام وإنْ كثَرَ ، وعندمَا قالَ رسـولُ الله ﷺ : « مَنْ أرادَ أنْ يبسطَ لهُ فى رزقه وَيُنسأ لهُ فى أثره فَليصلْ رَحمَه » فالمرادُ ببسْـطِ الرزقِ بَرَكتـه بأَنْ يُوفق اللهُ الإنسانَ لعملِ الخيْرِ وخيْرِ العمَل ، وعمَارة الأوقاتِ بمَا ينفعُ ، وَصيَانتها عَنِ الضياعِ فى غيرِ البرِّ والمعروفِ. فذَلكَ هوَ بسْـطُ الرزقِ وطولِ العمرِ... فيبقَى لهُ الذكْر الحسَن فى الدنيَا والثَّواب الجزيل فى الآخرة ، والذكرى بعدَ الموتِ حَيَاة ثانيَة ، فَقَدْ دعَا إبراهيمُ الخليلُ عَليه السَّلام فقالَ :

(١) سورة المائدة الآية ٨٨

﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[1].

واستجاب الله دعاءه فكانت الصلاةُ عَلى سيدنَا محمد ﷺ مَقْرونة بالصَّلاة عَلى سيدنَا إبراهيم عَليه السَّلام. فنقولُ فِى التحيَّاتِ : اللهمَّ صلِّ علَى محمدٍ ، وعَلى آلِ مُحمد ، كمَا صليتَ عَلى إبراهيمَ وعلَى آلِ إبراهيمَ ، وبارِكْ عَلى محمدٍ وعَلَى آلِ مُحمد ، كما بَاركتَ عَلى إبراهيمَ وعَلى آلِ إبراهيمَ فِى العالمينَ إنكَ حَميدٌ مجيد . .

وَلْنعلم أنَّ رزقَ الإنسانِ ليسَ وقفاً عَلى المالِ بلْ هناكَ نعمةُ الصحةِ ، ونعمةُ الزوجةِ الصَّالحة ، ونعمةُ الذُّرية الطَّيبة ، ونعمةُ الصَّديق الوَفى ، ونعمةُ الجارِ الصَّالح.. وهكذَا ...وصدقَ اللهُ حيثُ يقولُ :

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2]

فاللهُ تعالَى أمدنَا بالنعمِ ودعانَا لشكرهَا ، وهوَ سُبحانه يقبلُ التوبةَ عنْ عبادِه ، لكنَّ الإنسانَ أحياناً ينسَى المنعمَ ، ويطغَى بالنعمةِ ولهذَا قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ

(١) سورة الشعراء – الآية ٨٤.

(٢) سورة النحل الآية ١٨.

مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١).

٤ـ نبذ الكبر

لقد خُدِعت أمُّ الصَّبى بالمظهرِ البَرَّاق ، وكانتْ صُورة الرجُل المتكبرِ محلَّ إعجابٍ منهَا فهلِ الكبرُ يمنحُ صَاحبهُ العزةَ والكَرامَة ؟

منَ الأسماءِ الحسنَى لله تعالى أنهُ الجبارُ المتكبرُ بمعنَى أنهُ سبحانهُ مَنيع لاينالُ ، عزيزٌ لايُغلب ، عظيمٌ لا يُذَل ، يفعلُ مَا يريدُ ، ويحكمُ لَا مُعقبَ لحكْمه..

فمنْ حاولَ منَ البشرِ أنْ ينتحلَ صفةً لله تعالَى ، ويخرجَ بالباطلِ عنْ طبيعته البشريَّة ، فقدْ أشركَ فى عَقيدتــه وبدَّل التوحيدَ بالله كفــراً به تعالَى.. ولهذَا جاءَ فى صحيح مُسلم قولُ رسولِ الله ﷺ «قالَ الله عزَّ وجلَّ : العزُّ إزَارى ، والكبرياءُ رِدَائى ، فمنْ نَازعنى فِى واحدٍ منهمَا فقدْ عَذَّبته» .

وجاءَ النهىُ القرآنىُّ عنِ الكبرِ مؤكداً غضبَ الله على المســتكبرينَ فقــالَ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١).

ونبهَ القرآنُ المستكبرينَ إلى حَقيقة ضَعْفهم الإنسَانى فقالَ :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٢).

ومَالمْ يتدَارك الإنسـانُ نفسَـه ، ويخلّى قلبهُ منْ آثـارِ الكبْرِ ، فإنهُ قـدْ يُعَاجلُ بعقوبةِ الخسْـفِ فِى الدنيَا ، ويُحرَمُ الجنةَ فِى الآخرة.

وَفِى الصحيحيْنِ أنَّ رسـولَ الله ﷺ قالَ : «بينمَا رجلٌ يمشـى فِى حُلة تعجبهُ نفسُـه مرجل رَأسـه ، يختالُ فِى مشـيته إذْ خسـفَ الله بِه ، فهو يتجَلجلُ فِى الأرضِ إلى يوم القِيَامة ».

فهذاَ الرجلُ دخلهُ العجْب بنفسه ، وتباهَى بمنظره وخرجَ عَلى الناسِ فِى مِشْـيةٍ غيرِ مألُوفةٍ اسـتعْلاءً عَلى خلقِ الله فعَاملهُ اللهُ بنقيضِ قَصْده ، وأنزلهُ منْ عَلياء خيالِه الباطلِ إلَى أَسْـفلَ سَافلينَ ، وخسفَ بِه الأرضَ وجعلهُ فِى هبوطٍ وانحدارٍ مُستمرٍّ حتَّى يبعثَ اللهُ مَنْ فى القبور..

(١) سورة لقمان الآية ١٨.

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧.

وَالنهـى هـنَا ليسَ مُوجهًا إِلَى حسْـن الهندام أو نظَافة الثياب ، أو تمشـيطِ الشَعرِ وتطييبه فهذه زينةٌ شرعيَّةٌ أخرجهَا اللهُ لعباده ؛ وإنمَا الانحرافُ بالزينة واسْـتغلالهَا فيمَا حـرَّمَ اللهُ فهذَا هوَ مَنَاط النهي الشَّرْعى وَأساسُ العـقوبة الدِّينية..

وَفـى صحيـح مُسـلم أنَّ النبىَّ ﷺ قالَ: « لايدخلُ الجنـةَ مَنْ كانَ فى قلبه مثقالَ ذرة مـنْ كـبْر ، فقالَ رجُـلٌ : إنَّ الرجلَ يحبُّ أنْ يكونَ ثوبهُ حسـنًا ونعلُه حَسَـنًا ، قالَ عليه الصـلاَةُ والسـلامُ : إنَّ اللهَ جَميلٌ يحبُّ الجمالَ ، الكبرُ بطرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ»[1].

فهنـاكَ فرقٌ كبيرٌ بينَ الجمـالِ والكبْر ، فالجمالُ نعمةٌ والكبْر كُفر بالنعمَة ، والجمالُ إحساسٌ بالرضَا ، والكبْر إحسـاسٌ بالاستعْلاء ، والجمالُ يسرُّ الناظرينَ والكِبْر يُولِّدُ الأَحْقَاد..

٥ ـ فضل التواضع

توجـهَ الأمرُ الإلهىُّ لسـيدنَا رسـولِ الله أَنْ يتواضـعَ لعباد الله المؤمنيـنَ ، وجاءَ التعبيرُ القرآنىُّ بخفْـضِ الجناحِ قويًا فى الدلالة عَلى التواضُع ، وَلينِ الجانبِ فقالَ تعالَى:

(١) بطر الحق: دفعه ورده على قائله ، وغمط الناس : احتقارهم.

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

والجنـاحُ للطائر يرتفعُ به وَيطيرُ وقدْ يعْنى يدَ الإنسـان كمَا فى قوله تعَالَى: ﴿ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ ﴾[2].

أى إزالة للخوف ، وقدْ يضافُ الجناحُ إلى الذُّل

وَيُفسرُ بالرحْمة فى قوله تعالَى:

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[3].

وَهَذَا منْ بابِ الاستعَارة ، وذلكَ أنهُ لمَّا كانَ الذلُّ ضربيْنِ ، كمَـا يقولُ الراغبُ الأصفَهَانى : ضربٌ يَضَعُ الإنسـانَ وضربٌ يرفعهُ ، وقصَدَ فِى هذَا المكانِ إلَى مَايرفعهُ لَا إلى مَايَضَعُه ولذا استعارَ لفظَ الجناحِ الَّذى يرفعُ الطائرَ فكأنهُ قيلَ : اسـتعْملِ الذلَّ الذى يرفعكَ عندَ الله تعالَى منْ أجلِ اكتسَابِ الرحمَة...[4].

وكانَ منْ أولى صفَات عبَاد الرحمَن ، أنهمْ يمشونَ عَلـى الأرضِ هونًا ، وقدْ فسَّـرَ ابنُ كثيـر هذه الصِّفة قائلاً: أَىْ بسـكينةٍ ووقارٍ منْ غيرِ اسـتكبَارٍ ولَا مرحٍ ولَا أشرَّ ولَا بطَر

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٥.

(٢) سورة القصص الآية ٣٢.

(٣) سورة الإسراء الآية ٢٤.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص ٩٨ ط دار الفكر.

وليسَ المرادُ أنهمْ يمشونَ كالمرضَى تصنعًا ورياءً، فقدْ كانَ سيدُ ولدِ آدمَ ﷺ إذَا مشَى كأنمَا ينحطُّ منْ صَبَبٍ[1]، وكأنمَا الأرضُ تُطْوى لَهُ، وقدْ كرهَ بعضُ السلفِ المشْى بتضعفٍ وَتصنُّعٍ حَتَّى رُوىَ عنْ عمرَ أنهُ رأَى شاباً يمْشِى رُوَيداً، فقالَ: مَابالكَ أأنتَ مَريض ؟!

قالَ: لا يَا أميرَ المؤمنينَ، فعلاهُ بالدِّرَّة أىْ ضربهُ بالدِّرَّةِ وأمرهُ أَنْ يمشى بقُوةٍ، وإنمَا المرادُ بالهونِ هنَا السَّكينة والوقَار .. »[2].

وَقدْ بلَّغَ رسولُ الله مَا أمرهُ الله بهِ، وأعلمَ أُمتهُ بمَا ينبغِى أَنْ يكونَ عليهِ حالُ المسلمِ فقالَ: « إنَّ اللهَ أوحَى إلَىَّ أَنْ تواضَعُوا حتَّى لايفخرَ أحدٌ عَلى أحدٍ وَلَايبغِى أحدٌ عَلَى أَحَد» [رواه مسلم].

وأكدَ الرسولُ ﷺ أَنَّ التواضعَ هوَ العزةُ، ومهمَا تواضعَ الإنسانُ، فإنهُ يكتسبُ مَزيداً منَ الشرفِ، وصحَّح مفَاهيم قدْ تُفهم خَطأ فقالَ: « مَانَقَصَتْ صَدَقةٌ منْ مالٍ، ومَا زادَ الله عبداً بعفْوٍ إلاَّ عِزاً، ومَاتواضعَ أحدٌ للهِ إلَّا رفعهُ الله » [رواه مسلم].

فَالصَّدقةُ رغمَ أنهَا جزءٌ يُقتطعُ منَ المالِ إلا أنهَا تزيدُ المالَ

---

(١) الصَّبَبُ: مَا انْحدرَ مِنَ الأَرضِ. ج. أَصْبَابٌ.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٣ / ص ٣٢٤.

نماءً وبركةً ، والعفوُ عندَ المقدرةِ ليسَ ضعفًا وإنهُ هوَ عزٌّ يَبتَغِي بهِ صَاحبــهُ منزلةً وأجراً عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، والتواضعُ ليسَ ذِلة ، وإنمَا هوَ خُضوع للهِ وشَفقة عَلى خلْقِ اللّهِ.

٦ـ الاعتزاز بغير الله

وَقدْ أَثبتتِ التجربةُ ، وأكَّد الواقعُ أَنَّ منِ اعتزَّ بغيرِ اللــهِ هُلكَ بهِ ، فعندمَا اعتزَّ فرعونُ بأنهارِ مصرَ وقالَ : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ (١).

كانَ جزاؤه أنْ غرقَ فِى البحْر، ثم لفظهُ الماءُ باليمِّ جثَّةً هَامَــدَةً عبْرة للأولينَ والآخريــنَ ، قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٢).

(١) سورة الزخرف الآية ٥١.

(٢) سورة يونس الآية ٩٠ – ٩٢.

وكذلـكَ اعتزَّ قارونُ بأمواله ، واسـتكبرَ بهَـا عَلى قومه ، وخرجَ يتبَاهَى بزِينته ، وانخـدعَ الناسُ بمظاهرِ الأبهةِ الكَاذبة ، وحَدثتهمْ نُفُوسهم بالأمَانى الخَادعة ، لكنَّ أهلَ العلم حَاولُوا تنبيهَ القوم إلَى ضَرورةِ اليقظَةِ الرُّوحيّةِ والعقْليةِ ، وإدرْاكِ حكمَةِ الوجُود والرضَا بمَا قسمَ اللهُ ، والحرْص عَلى ثوابِ الله..

وصوَّر القرآنُ العظيمُ هذَا الموقفَ بأسلوبه المعْجز فقـالَ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ (١).

فماذَا كانت النتيجَة؟!

قـالَ تـعـالَى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٢).

وأدركَ النـاسُ الحقيقةَ الغَائبـةَ : ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ

(١) سورة القصص الآية ٧٩ - ٨٠ .
(٢) سورة القصص الآية ٨١.

وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

ووضعَ القرآنُ أمامَ العقـولِ والبصَائرِ قضيَّةَ العدلِ الإلهيِّ المطْلق المبرَّأ عنْ كلِّ اعتباراتِ البشرِ الماديَّة.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

وكانَ أَوْلـى لِأمِّ الصَّبـى أَنْ تدعُو لـهُ بأن يكونَ مِنَ المتقيـنَ الذينَ لَايريدونَ عُلُـوًّا فى الأرضِ غير متكَبرينَ أو مُفسـدينَ حتَّى ينَالُوا الدارَ الآخرةَ التى أعدهَا اللهُ أجرًا لمثلِ هَؤُلاء.

٧ـ منهج التربية الإسلامية :

إنَّ الطفلَ الدَّاعى لنفسِه ، يُرشدنَا إلى منهجٍ تربويٍّ ، يجبُ أَنْ نسـعَى إليه ، ونحرصَ عليه ؛ كَىْ ينشأَ الأولادُ نشأةً صَالحةً تثمرُ أَخْلاقيَّات وسُلوكيَّات رَشيدَة..

وقدمَ الإسلامُ منهجاً لَايُعلى عليهِ يتلخصُ فيمَا يلى:

١ - يتدخلُ الإسلامُ فى اختيارِ اسمِ المولودِ ، ويطلبُ إلى والديْهِ أَنْ يتخيرُوا الاسـمَ الحسَن ، فلَا تصابُ نفسُه بالعُقدِ بسببِ تسميةٍ

---

(١) سورة القصص الآية ٨٢.

(٢) سورة القصص الآية ٨٣.

شَـاذَّةٍ مُنكرة ، قالَ رسـولُ اللـه ﷺ « إنكمْ تُدعونَ يـوم القيامةِ بأَسْـمائكمْ وأسـماءِ آبائكمْ فأحسـنُوا أسـمَاءَكُم ». رواه أبو داود بإسناد حسن.

ويحتفلُ الإسلامُ بمقدم الطفلِ ، فيدعُو إِلَى عملِ وَليمةٍ فِى اليوم السَّـابعِ مِنْ مولده ، يُدْعى لهَـا الأقاربُ والأصدقاءُ ، ويأكلُ منهَا الفقراءُ .. قالَ رسـولُ الله ﷺ . كلُّ غُلام رَهينـةٌ بعقيقتـهِ تُذبح عنهُ يومُ سَـابعه ، ويُسـمى فيـهِ ويحلقُ رأسُـه. رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح.

واحترامًـا لطبيعـةِ الطفـلِ البريئـةِ ، ثبتَ فِى الصحيحيْنِ أَنَّ النَّبىَّ ﷺ كانَ يُصلى وهوَ حاملٌ أُمامةَ بنتَ زَينب بنت الرسـولِ ، لأبـى العاصِ بنِ الرَّبيع ، فإذَا قام حملهَا وَإذا سجدَ وَضعها..

وقـدمَ بعض الأعـرابِ إِلَى رسـول الله ﷺ فقالُوا : أتقبِّلُونَ صِبْيانكُم ؟ فقالَ: نَعَم ، فـقالُوا لكنَّا وَالله مانقبِّلُ ، فقالَ عليه الصلاةُ والسَّلام : أَوَ أملكُ إِنْ كانَ الله نزعَ مِنْ قلوبكُم الرحمةَ »..

٢ - ويبدأُ المنهجُ الإسلامىُّ أولَى تَوْجيهاته العمليَّة للطفلِ وهوَ فِى سِـنِّ السَّابعةِ ، قالَ رسولُ الله ﷺ « مُرُوا أولادكُم بالصلاةِ وهُمْ أبنَاء

سبعِ سنين واضْربوهُم عليهَا وهُم أبناءُ عشْرِ سنينَ». رواه أبو داود.

والأمرُ بالصلاةِ يتضمنُ عدةَ إشاراتٍ إلَى جَوَانب مُهمة فِى حياةِ الطفلِ التربويَّةِ وهى :

(أ) الطهارةُ والنظافةُ حيثُ تَسبقُ الصلاةَ ولاتصحُّ بدونهَا...

(ب) الإيمانُ والفضائلُ حيثُ يُرَغبُ الطفلُ إلى الله ، ويقفُ عَلى قيم الأخلاقِ والتَّدَيُّن..

(ج) القراءةُ والكتابةُ حيثُ يحفظُ قدرًا مِنَ القرآنِ الكريم كَىْ يُصلى بهِ...

(د) الشخصيةُ الاجتماعيةُ حيثُ يُشاركُ الطفلُ فِى الجُمَعِ والجماعَات ، ويتعرفُ عَلى الناسِ فِى المسَاجد.

٣ - يجبُ أَنْ يُعَلم الأطفالُ أَدَبَ المائدة ، فَفِى صحيحِ الحديثِ عَنْ عمرَ بنَ أبِى سَلَمة قالَ : كنتُ غلاماً فِى حجرِ رسولِ الله ﷺ «أى فى كفالته» وكانتْ يدِى تَطِيشُ فِى الصحفة «أى الإناء» فقالَ لِى رسولُ الله ﷺ : يَاغُلام سَمِّ اللهَ وكلْ بيمينكَ ، وكلْ ممَّا يليكَ..

كذلكَ مِنَ الأَدبِ الإسْلامىِّ أَنْ يُعلّم الطفلُ كيفيّة الاسْتئذانِ دَاخل الأسْرةِ فِى الأَوْقاتِ الثلاثَةِ التِى حَدَّدتها الآيةُ الكريمةُ فِى قولهِ

جلَّ شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾ (١).

هذه الآيةُ الكريمةُ توضحُ أدبَ الاستئذانِ داخل الأسرةِ المسلمة بينَ فريقيْن :

(أ) فريقُ ربِّ الأسرةِ وزوْجه.

(ب) فريقُ الأطفالِ والخدم.

وهوَ أدبٌ كريمٌ غفلَ عنهُ كثيرٌ منَ الناسِ ، فإنَّ طبيعةَ علاقةِ الطفلِ بأبويْه ، وطبيعةَ علاقةِ الخادمِ بمخدومه ، تقتضِى دَوامَ الاتصالِ وسرعةَ اللقاء ، وهذَا مَايمنعُ إقَامة الحواجزِ فى العلاقةِ بينهمَا ، لكنْ هناكَ أوقاتٌ مُعَينة يخلُو فيهَا المرءُ بنفسه أَوْ بأهْله ، وقدْ يكونُ فِى أوضاعٍ لايليقُ بأحدٍ أَنْ يطَّلعَ عليهَا وهذَا مَايحتمُ التمهلَ فِى الدخولِ..

وجمعًا بينَ النظرتيْنِ رخَّصَ اللهُ سُبحانهُ للأطفالِ والخدمِ الدخُول

(١) سورة النور الآية ٥٨.

على كبارِ الأُسرة بغيرِ اسْتئذانٍ إلَّا فِى أوقاتٍ ثَلَاثة :

- مِنْ قبلِ صَلاة الفجرِ ؛ لأنَّ الناسَ حينئذٍ يكونونَ فِى فراشِ النوم..
- وحينَ تضعونَ ثيابكُم منَ الظهيرةِ أَىْ فِى وقتِ القيلولةِ..
- وَمِنْ بعدِ صَلاة العشاءِ وَقت الاستعدادِ للنومِ وارْتدَاء مَلَابسه..

هذه الأوقاتُ الثلاثةُ ينبغِى لربِّ الأسرةِ أَنْ يدرِّبَ أطفالَهُ وَخَدَمَهُ عَلى الاستئذانِ فيهَا ؛ لأنَّ الطفلَ قدْ ينطبعُ فِى نفسِه موقفٌ منْ مواقفِ الخلوةِ ، فيتركَ آثاراً نفسيَّةً وَخلقيةً سَيئةً ولأنَّ الخادمَ قدْ يصفُ عَوْرات مخدومه للأَجَانب.

وإذا بلغَ الأطفالُ وصارُوا رجالاً ونساءً تغيَّرَ الموقفُ فبعدَ أنْ كانُوا يستأذنونَ فِى ثلاثةِ أوقاتٍ فقطْ وَجبَ عَليهم الاسْتئذَان عَلى كلِّ حالٍ ، فلا يقتحمونَ خلوةَ أَبيهم وَأُمهم إلَّا بإذْنٍ ، قالَ الله تعالَى : ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (١).

فيصبحُ عَلى جميعِ أفرادِ الأسرةِ أَنْ يستأذنُوا بعضُهم عَلى بعضٍ

(١) سورة النور الآية ٥٩.

فَلاَ الآباءُ يقتحمونَ خلوةَ أبنَائهم إلَّا بإذْن ، ولَا الأبناءُ يقتحمونَ خلوةَ آبائهم وَأُمَّهاتهم إلَّا بإذنٍ.. وَقَد رُوىَ أَنَّ رجلاً قالَ للنبى ﷺ :

أأستأذنُ عَلى أُمِّى ؟

قالَ : نَعَم

قالَ الرجلُ : إنِّى أخدمهَا

قالَ : اسْتأذن عليهَا ...

فعاودهُ ثلاثاً فقالَ عليه الصلاةُ والسَّلام: أَتحبُّ أَنْ تراهَا عُرْيانَة ؟!

قالَ الرجلُ : لَا

قالَ عليه الصلاةُ والسَّلام : فاسْتأذنْ عليهَا..

٤ - وَمنَ العجيبِ المدهشِ حقًّا فِى المنهجِ الإسلامىِّ أَنْ يَرِدَ النصُّ المقدسُ بـالـحثِّ عَلى التربيةِ الرياضيةِ..

ففِى صحيحِ البخارِى أَنَّ الرسولَ ﷺ مرّ عَلى نفرٍ منْ قبيلةِ «أَسْـلم» ينتضلونَ «يرمونَ بالسِّـهامِ عَلى سبيلِ المسَابقة» ، فقالَ : ارمُوا بَنِى إسْمَاعيل ، فإنَّ أَبَاكم كانَ راميًا ، وَأنَا معَ بَنِى فُلَان.

فأمسكَ أحدُ الفريقيْنِ بأَيْديهم.

فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : مَالكم لاترمُونَ ؟!

فقالُوا : يَارسولَ الله نرمي وأنتَ مَعَهم ؟!

فقالَ : ارمُوا وأَنَا معَكم كلُّكُم.

إنَّ الرسولَ الكريمَ حثَّ هؤلاَءِ الشبَابَ عَلى الاسْتمرارِ فِي الرَّمْى ، وذكَّرهُم بجدِّهم الأَعلى اسْـماعيل بن إبراهيم عليهما السـلام فقدْ كانَ يجيدُ الرَّمْى .

وَلتأكيـد الموقفِ وبيـانِ أهميَّةَ الرَّمـى ، انضمَّ النَّبى ﷺ إلَى أحدِ الفريقيْنِ ليمارسَ مَعَهم رياضةَ الرماية ، وهنَا رفضَ الفريقُ الآخرُ مواصَلة المسَـابقةِ إذْ كيفَ يرمونَ ويحاولُونَ غلبةَ فريقٍ فيه رسولُ الله ولمَّا أحسَّ الرسولُ الكريمُ بشُعُورهم الطيِّبِ شَجَّعهم جميعًا وَدَعَاهم إلَى مُوَاصلةِ الرَّمْيِ...

٨ ـ القدوة الحسنة

إنَّ أمَّ الصَّبـى قدمتْ لابنهَا نموذجًـا للقدوةِ غَير صَالح ، ولهذَا أنطقَ الله الصَّبى ؛ ليعيدَ التوازنَ العقلىَّ والنفسىَ الرشيدَ ، وليؤكدَ ضرورةَ القدوَة الحسَنةِ القائمةِ عَلى الإيمانِ بالله ، والاعتصامِ بقيمِ الخيرِ، والاسْتمساك بفضائل السلوك..

إنَّ حياةَ الإنسـانِ منذُ نَشْـأتها تعرفُ التقليدَ والمحَاكاة وتهوَى التشبُّه والإعْجَاب..

وكانتْ توجيهاتُ رسولِ الله ﷺ حاسمةً فِى ضرورَةِ اختيارِ الأصْدِقَاء.. وَفِى بيانِ أهميّة هذَا الاختيَار يقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ:

«إنمَا مَثلُ الجليسِ الصَّالحِ وجليسِ السُّوءِ كحاملِ المسْكِ وَنافخِ الكيرِ ، فحاملُ المسْكِ إمَّا أَنْ يُحْذيكَ وإمَّا أنْ تبتاعَ منهُ وإمَّا أنْ تجدَ منهُ ريحًا طيِّبة ونافخُ الكيرِ إمَّا أنْ يحرقَ ثيابكَ وإمَّا أنْ تجدَ منهُ ريحًا مُنتنة»

فمجالسَةُ الصالحينَ لاتنفَك عَنْ خيرٍ كحاملِ المسْكِ فأنتَ معهُ فِى رائحةٍ طَيِّبة عَنْ طريقِ الهبَةِ منهُ أَوِ الشراءِ أو الاسْتمتاع بالصُّحبَة..

ومجالسةُ المنحرفينَ مَذمه ومنْقَصَة، قدْ تدفعُ إلى الجريمةِ أَوْ تشوهُ السمعةَ فالشرُّ ملازمٌ لهَا كنافخِ النارِ قَدْ تَحْرِق النَّارُ الثيابَ أَوْ تُشَوه الوجُوهَ وتلطخُ البدَن.

وَنبهنَا الرسولُ الكريمُ إلَى أنَّ المرءَ محسُوب عَلى صديقِه ويمدحُ أَوْ يذمُّ بمصَاحبته فقالَ «الرجلُ عَلى دينِ خَليلِه فلينظُرْ أحدكُم مَنْ يُخَالل.

ونهانَا رسولُ اللهِ ﷺ عنْ مجالسةِ الخارجينَ عَنِ الفطرةِ وَمُخَالطتهم فقدْ لعنَ رسولُ الله المُخَنَّثينَ منَ الرجالِ والمترجلَات مِنَ النساءِ وقالَ : أخرجُوهم منْ بُيُوتكم...

وَحَذَّرنا الرسولُ منَ التشبُّهِ بأهلِ المعصيةِ وَالإعْجاب بالفَاسقينَ فقالَ «مَنْ تشبَّهَ بقوم فهوَ منْهم».

وقالَ «لايكنْ أَحَدكمْ إمَّعة يقولُ أَنا معَ الناسِ إنْ أحسَن الناسُ أحْسَنت وَإنْ أساءُوا أسَأْت وَلكنْ وَطِّنوا أنفسكُم إنْ أحسنَ الناسُ أَنْ تحسنُوا وإنْ أَسَاءوا أَنْ تجتنبُوا إسَاءَتهم.

وَعَلى العاقلِ أَنْ يختارَ أيَّ الفريقيْنِ أحبُّ إليه ؛ لأنهُ سيُحشرُ معَ منْ أحَبَّ فإنْ أحبَّ الصالحينَ وتشبَّه بهم حُشِر مَعَهم وإنْ أحبَّ الفاسقينَ وتشبَّه بِهِم حُشِر مَعَهم.. وَقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ :

«المرءُ مَعَ مَنْ أحبَّ».

وكانَ منْ دعاءِ رسولِ الله ﷺ : اللهمَّ إنِّى أسألكَ حبَّك ، وحُبَّ مَنْ يحبكَ وحبَّ عملٍ يُقربنِى إلى حبِّكَ.

خاتمة

إنَّ قصة الطفلِ الدَّاعى لنفسه الذى أنطقهُ الله فِى المهدِ تحدِّدُ لنَا السَّـعادةَ الحقيقيةَ الكامِنَةَ فِى رضَـا الله وَالتوفيق لعملِ الخيرِ والتَّواضع بينَ النَّاس..

وتؤكـدُ أنَّ الذريَّـةَ الطَّيبةَ فِى اتبـاع أَدبِ الدينِ وَالدنيَـا.. وَأنَّ بركـةَ الحيَاة هى فِى غنًـى عَنْ كثرةِ المَال.. وأنَّ التواضعَ عِزٌّ وَشَـرف.. وَأنَّ عظماءَ البشرِ هُم أصحـابُ القلـوبِ الرحيمةِ والعقـولِ الطَّاهِرةِ والسُّلوكِ الحمِيد..

سلاسل دار المعارف الدينية

١ - مجموعة أنبياء قبل الأربعين.

(أربعة أجزاء)

٢ - مجموعة قصص الأنبياء.

(٢٠ جزءًا)

٣ - مجموعة القصص الدينية.

(٢٠ جزءًا)

٤ - مجموعة الصحابة.

(١٦ جزءًا)

٥ - مجموعة أمهات المؤمنين.

(١٦ جزءًا)

٦ - مجموعة قصة وآية.

(٨ أجزاء)

٧ - مجموعة عجائب المخلوقات فى كتاب الله.

(٦ أجزاء)

٨ - مجموعة رايات الإسلام.

(١١ جزءًا)

٩ - مجموعة سيرة الرسول ﷺ.

(٢٦ جزءًا)

١٠ - مجموعة من حياة المرسلين.

(جزءان)